

المُقدِّمة السَّالِيةُ فِي

خَوْفِ الْخَائِتَةِ

لِلْعَلَامَةِ

المُلا

عليّ بنِ سُلطانِ مُحَمَّدِ الرُّهْرُومِيِّ الفَارِسِيِّ

دار الصَّحَائِفِ لِلتَّارِيخِ بِبَطْنِ طَلَا

كِتَابٌ قَدْ حَوَى ذُرًّا بَعِيدًا نَحْنُ مَالْمُحَوَّطَةُ
لِهَذَا قَلَّتْ تَنْبِيهُمَا
حَقُوقُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

لدار **الصِّحَابِ لِلتَّيْبَاتِ** بطنطا

للنَّشْرِ - وَالتَّحْقِيقِ - وَالتَّوْزِيعِ

المُرَاسَلَاتُ:

طنطاش المديرية - أمام محطة بنزين التعاون
ت: ٣٣١٥٨٧ ص.ب: ٤٧٧

الطبعة الأولى

١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تقديم

إن الحمد لله ..

نحمده ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فهو المهتد ، ومن يضلل فلا هادي له .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾^(*) .

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾^(**) .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾^(***) .

(*) سورة آل عمران : الآية ١٠٢ .

(**) سورة النساء : الآية ١ .

(***) سورة الأحزاب : الآية ٧٠ - ٧١ .

أما بعد ...

فبين يديك أخى القارئ رسالة قيمة ؛ قد تضمنت موضوعاً شيقاً ، ما أكثر الذين كتبوا فيه ، وتكلموا عنه ، ولكن ما أقل الذين أجادوا عرضه ، وأصابوا الهدف فيه ، ففز بها ، عسى أن تكون باعثاً لك على طاعة الله عز وجل وحائلاً لك عن المعاصي ، ونسأل الله العظيم أن ينفع بها المسلمين ، ويجعلها فى ميزان حسناتنا يوم أن نلقاه ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ، والحمد لله رب العالمين .

بين يدي الكتاب

عجيب أمر هذا الإنسان .. 11

تراه في النعم التي أنعم الله عليه بها ، يلهو ، ويزتع ، ويلعب ، وكأنه لم يخلق إلا ليلهو ويتمتع ، وقد غاب عنه أن تلك النعم ما هي إلا أداة للاختبار ، ووسيلة للوصول إلى تلك الدار الخالدة . بل إذا ذكرته بفناء هذه النعم تراه ينكر عليك ويقول : ﴿ ما أظن أن تبيد هذه أبداً ﴾ .

وأعجب من هذا أنه مع غفلته هذه وإعراضه عن الطريق المستقيم وكتاب رب العالمين تراه يتبجح على الله ويقول : ﴿ لكن رددت إلى ربي لأجدن خييراً منها منقلباً ﴾ .

كيف يتسنى له ذلك ؟ وكيف يحكم لنفسه بأنه سيكون من أهل

النعم 12

نعم . من حقه أن يكون راجياً عفو ربه وكرمه ورحمته إذ إن نفي الرجاء يعد قنوطاً ، ولا يقنط من روح الله ورحمته إلا الكافرون ، ولكن للرجاء حدود فإذا تعداها العبد وصل إلى التفريط والتكاسل في الأعمال ، لذا كان على العبد أن يكون في عبادته لربه بين الخوف والرجاء .

فالخوف والرجاء بالنسبة للمؤمن كالجناحين بالنسبة للطائر . ولا يفرغ العبد صفاء أحواله ، ولا إيمانه ، فالقلوب بين إصبعين من أصابع الله يقبلها كيف يشاء .

فرب مؤمن أصبح بالله كافراً ، ورب كافرٍ أمسى بائناً رُمناً .
وهذا الكتاب الذى بين ييك - أخى القارئ - يعدُّ رداً على غلاة
الصوفية ، وبالأخص ابن عربى وأتباعه .

فقد زعم أحدهم أن من رآه دخل الجنة ولم يدخل النار ، فكان
رد المصنف عليه بأن هذا الزاعم إذا كان لا يملك أن يجزم بموت نفسه على
الإيمان ، فكيف يتصور له أن يكون سبباً فى الأمن والأمان لغيره .
ورد المصنف أيضاً على من زعم أن هذا نظير قوله - ﷺ - فى
حق أويس القرنى أنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر وقال بأن
كلام الرسول - ﷺ - صدق ، وأخبره حق ، وأما غيره فلا يدرى من
أمره شيئاً لا فى الدنيا ولا فى الآخرة .

وإذا زعم زاعم أنه انكشف له هذا الأمر بأن يكون له الشفاعة فى
هذا القدر ، وذلك بمقتضى تصوراتهم الكاذبة المبتدعة، فإن المصنف قال :
لا اعتبار لمكاشفات الأولياء بحيث يعتمد عليها بالكلية فى الأمور
الشرعية ، وذكر المصنف موقف السلف من الشهادة بالجنة وأن لهم ثلاثة
أقوال مرضية :

أحدها : وهو منقول عن ابن الحنفية أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء
لأنهم معصومون عن الكفر فى الابتداء والانتهاى .

ثانيها : أن يشهد لكل مؤمن جاء نص فى حقه .

ثالثها : أن يشهد لمن شهد له المؤمنون لحديث رسول الله
- ﷺ - : « أنتم شهداء الله فى الأرض » وقد رواه البخارى ومسلم .

ومع ذلك فليس لأحد أن يشهد لأحد من أرباب هذه الملة بعدم
دخول النار أو وصول الجنة ، وإنما يجوز له أن يشهد بالثناء عليه إن رأى

فيه خيراً بموجب حسن الظن ، وكذا له أن يشهد بالشر لأحد إذا رأى منه ما يدل على نفاقه أو شاهد فيه بعض الكبائر .

وقد ادعى أحد الجهلة من أرباب الكشف أنه رأى بعض أهله في النار ، وأنه اجتمع بابن عري فسطح له أنه - أى المعذب - لم يرى - أى ابن عري - .

والجواب عن هذا أنه لا اعتماد على رؤية المنام في حق غير الأنبياء - عليهم السلام - وحتى لو فرض أن أحداً رأى النبي - ﷺ - وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع العلماء الأعلام ، فما بالك بمن رأى ابن عري في المنام ، وقال له أشياء تخالف هذا الدين على نحو ما ذكرناه آنفاً .

وإذا كان هذا يطمئن إلى ما يقول فيم نفسر خشية السلف لله عز وجل ، وقد كانوا يكونون ليل نهار خوفاً من عقابه ، أو أن يبدل إيمانهم كفراً .

ألم يعتبر هؤلاء الغفلة بما حدث لبلعام ، وكان يعلم اسم الله الأعظم ، والحاصل أن الأمر مبهم ، والخطر معظم فلا يدرى أحد غير الأنبياء أنه من أى الفريقين في قوله تعالى : ﴿ فريق في الجنة وفريق في السعير ﴾ أعاذنا الله من السعير ورزقنا الجنة برحمته إنه هو التواب الرحيم .

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

ترجمة المصنف

اسمه ونسبه :

هو الإمام الجليل الحجة الفقيه الحنفى على بن محمد سلطان الهروى المعروف بنور الدين القارى من صدور العلماء فى عصره ، وقد اختلف فى اسمه ، فى الأعلام للزركى ، ومعجم المؤلفين لرضا كحالة ، والفوائد البهية اسمه : « على بن سلطان محمد » ، وفى البدر الطالع للشوكافى على بن سلطان بن محمد ، وذكر الزركلى فى الأعلام أنه جاء فى حاشية إحدى كتب المصنف : « ودأب العجم أن يسموا أولادهم أسماء مزدوجة مثل فاضل محمد ، وصادق محمد ، وأسد محمد ، واسم أبيه سلطان محمد ، فهو من هذا القبيل على ما سمع ، وأما كونه من الملوك فلم يسمع » .

مولده ووفاته :

ولد فى هراة ، وسكن مكة وتوفى بها سنة ١٠١٤ هـ أربع عشرة وألف من الهجرة ، ولم يذكر المؤرخون سنة مولده ، واستقر الملا على القارى - رحمه الله - بمكة وتعلم بها وأخذ عن جماعة من المحققين كابن حجر الهيثمى المتوفى سنة ٩٧٤ هـ وقيل : كان يكتب فى كل عام مصحفاً وعليه طرر من القراءات والتفسير فيبيعه فيكفيه قوته من العام إلى العام ، وصنف التصانيف المفيدة .

ثناء العلماء عليه :

قال العصامي في وصفه : « الجامع للعلوم النقلية ، والعقلية ، والمتضلع من السنة النبوية ، أحد جماهير الأعلام ومشاهير أولى الحفظ والأفهام ». ثم قال : « لكنه امتحن بالأعتراض على الأئمة لاسيما الشافعي وأصحابه واعترض على الإمام مالك في إرسال يديه ، ولهذا تجد مؤلفاته ليس عليها نور العلم ، ومن ثمة نهى عن مطالعتها كثير من العلماء والأولياء » . انتهى .

قال الشوكاني : « وأقول هذا دليل على علو منزلته فإن المجتهد شأنه أن يبين ما يخالف الأدلة الصحيحة ويعترضه سواء كان قائله عظيماً أو حقيراً تلك شكاة ظاهر عنك عارها » . اهـ .

مصنفاته :

تميز المصنف بغزارة مؤلفاته وشروحه ، نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي :

- ١ - تفسير القرآن في ثلاثة مجلدات مخطوط
 - ٢ - الأثمار الجنية في أسماء الحنفية . مخطوط
 - ٣ - الأسرار المرفوعة في الأخبار الموضوعة . مطبوع
 - ٤ - بداية السالك . مناسك مخطوط
 - ٥ - جمع الوسائل في شرح الشمائل . مطبوع
 - ٦ - الحرز الثمين للحصن الحصين . مطبوع
 - ٧ - شرح الشفا (للقاضي عياض) . مطبوع
 - ٨ - تعليق على بعض آداب المريدين ، لعبدالقاهر السهروردي، مخطوط
- في خزانة الرباط (٢٥٠٣ ك)

- ٩ - القول السديد في خلف الوعيد ، نشرته دار الصحابة للتراث
بطنطا ، بتحقيقنا .
- ١٠ - شرح عين العلم وزين الحلم . مطبوع
- ١١ - شرح نخبة الفكر . مطبوع
- ١٢ - شرح مشكاة المصابيح . مطبوع
- ١٣ - شرح مشكلات الموطأ . مخطوط
- ١٤ - سيرة الشيخ عبدالقادر الجيلاني . رسالة مطبوع
- ١٥ - التجريد في إعراب التوحيد . رسالة تتولى دار الصحابة نشرها .
- ١٦ - صلاة الاستسقاء . رسالة تتولى دار الصحابة نشرها .
- ١٧ - ضوء المعالي شرح بدء الآمال . في التوحيد . مطبوع
- ١٨ - فتح باب العناية بشرح كتاب النقاية . مطبوع
- ١٩ - فتح الرحمن بفضائل شعبان مطبوع بولاق ١٨٨٩ م
- ٢٠ - المبين المعين لفهم الأربعين ، وهو شرح الأربعين حديثاً
النووية . مطبوع
- ٢١ - المشرب الوردى في حقيقة مذهب المهدي . مطبوع
- ٢٢ - منح الروض الأزهر في شرح الفقه الأكبر . مطبوع
- ٢٣ - الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول
والاتحاد . مخطوط
- ٢٤ - المنح الفكرية بشرح المقدمة الجزرية . مطبوع
- ٢٥ - تذكرة الموضوعات . مطبوع
- ٢٦ - توضيح المباني ، شرح مختصر المنار في الأصول . مخطوط
- ٢٧ - الزبدة في شرح البردة . مخطوط في مكتبة عبيد .
- ٢٨ - المقدمة السالمة في خوف الخاتمة ، وهو الكتاب الذي نحن بصدد

تحقيقه ونشره ، وقد ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون (١٨٠٢/٢)
ونسبه للقارى .

إلى غير ذلك من المصنفات العديدة التى يضيق المقام عن
حصرها^(٥) .

(٥) مصادر الترجمة :

- البدر الطالع للشوكانى (١/٤٤٥) .
- الأعلام لخير الدين الزركلى (١٢/٥) .
- معجم المؤلفين لرضا كحالة (٧/١٠٠) .
- خلاصة الأثر للمجيبى (٣/١٨٥-١٨٦) .
- كشف الظنون لحاجى خليفة (مواضع متفرقة) .

عملى فى الكتاب

حاولت جاهداً ما وسعنى الجهد أن أصل بهذه الرسالة إلى أن تكون فى أبهى صورة وأجلى مضموناً ، ولقد سلكت فى عملى هذا عدة نقاط أهمها :

أولاً : قمت بقراءة المنسوخة مصححاً لبعض الكلمات والجمل التى اعترها التصحيف أو التحريف من غير إخلال لمعنى أو إجحاف بأسلوب المصنف .

ثانياً : قمت بعزو الآيات القرآنية الواردة فى الرسالة إلى أماكنها فى المصحف الشريف مع الرجوع فى تفسير بعض الآيات إلى كتب التفسير .

ثالثاً : قام بتخريج الأحاديث وعزوها إلى مصادرها وذكر درجة الحديث الأخ عمرو عبد المنعم

رابعاً : قمت بعمل تراجم للشخصيات والأعلام الوارد ذكرهم فى ثنايا الرسالة .

خامساً : التعريف بالفرق والمذاهب المنتدعة الوارد ذكرها فى الرسالة .
سادساً : وضحت بعض معانى الكلمات المهمة فى الرسالة وعزوتها إلى أماكنها فى كتب اللغة كلسان العرب لابن منظور ، والمعجم الوسيط وغير ذلك .

سابعاً : وضعت العناوين الداخلية بين معكوفتين ليسهل ذلك على القارئ .

ثامناً : قدمت للكتاب بمقدمة تشتمل على :

- التعريف بالكتاب .

- التعريف بالمؤلف .

وهذا جهد المقل ، فإن كنت أصبت فمن الله عز وجل ، وإن
كانت الأخرى فمن نفسى والشيطان (وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت
وإليه أنيب) .

والحمد لله رب العالمين

تم التحقيق بالدار

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة المصنف]

الحمد لله الذى هدانا إلى الصراط المستقيم ودلنا إلى الطريق القويم ، والصلاة والسلام على من خُلِقَ بالخُلُقِ العظيم ، وَجُبِلَ^(١) بالقلب السليم ، وعلى آله ، وأصحابه ، وأتباعه ، وأحزابه ، أصحاب التكريم ، وأرباب التعظيم .

أما بعد :

فيقول المنتجىء إلى حرم ربه البارى على بن سلطان محمد القارى خادم كتاب الله القديم وحديث نبيه الفخيم^(٢) .

إن الله سبحانه قال : ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾^(٣) أى الذين خسروا أنفسهم بالكفر وترك النظر

(١) جُبِلَ : جَبَلَ اللهُ الخلق جبلاً أى خلقهم ، ويقال : جَبَلَهُ على كذا : طبعه ، وفى الأثر : « جُبِلَتِ القلوب على حُبِّ من أحسن إليها » . الوسيط (١/١٠٥) .

(٢) الفخيم : عظيم القدر ، رفيع المنزلة .

(٣) سورة الأعراف الآية : ٩٩

وأصل المكر قيل : الشر ، ومنه (مكر الليل) إذا أظلم وفسره البعض بصرف الغير عما يقصده بحيلة وآخرون باختداع الشخص لإيقاعه فى الضرر ، وفرقوا بينه وبين الحيلة بأنها قد تكون لإظهار ما يعسر من الفعل من غير قصد إلى الإضرار والمكر حيلة على الشخص ، وقالوا: لا يطلق على الله تعالى إلا بطريق المشاكلة لأنه منزه عن معناه وغير محتاج إلى حيلة =

والتأمل في الأمر ، ومكر الله استعارة لاستدراك العبد بالآلاء والنعماء ، وأخذه من حيث لا يشعر بالبلاء والضراء ، وعدّ من جملتها الكرامات لبعض الأولياء ، وقال عز وجل : ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْتِيَنَّكَ مِنَ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾^(٤) فالواجب على كل مؤمن أن يكون بين الخوف والرجاء^(٥) ، والقبول والرد في الانتباه ، ولا يغتر بأن يحسب الظاهر في صورة العلماء أو في سيرة الصالحاء ، وكذا لا يقنط من رحمة ربه تعالى ولو كان من طريق الفسقة أو الجلاء ، فإن المدار على الخاتمة اللاحقة على وفق ما جرى به القلم في الساعة السابقة .

= فلا يقال ابتداء مكر الله سبحانه - وإلى ذلك ذهب العبد وجماعة - وخالفهم الأبرى وغيره : فجازوا الإطلاق بلا مشاكلة مستدلين بقوله تعالى : ﴿ أَقَامْنَا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ فإنه نسب إليه سبحانه ابتداء وقال غير واحد : إنه عبارة عن التدبير المحكم وهو ليس بممتنع عليه تعالى ، وفي الحديث « اللهم امكرو لي ولا تمكروني » .

ومن ذهب إلى عدم الإطلاق - إلا بطريق المشاكلة - أجاب عن الاستدلال بالآية ونحوها بأن ذلك من المشاكلة التقديرية كما في قوله تعالى : ﴿ صَبَّغَهُ اللَّهُ ﴾ ولا يخفى ما فيه ، فالأولى القول بصحة الإطلاق عليه سبحانه ابتداءً بالمعنى اللائق بجلاله جل جلاله ، ومما يؤيد ذلك قوله سبحانه : ﴿ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ ﴾ أي أقواهم مكرراً وأشدّهم أو أن مكره أحسن وأوقع في عمله لبعده عن الظلم فإنه يبعد المشاكلة . اهـ .
قاله الألويسي في روح المعاني (١٧٨/٣-١٧٩) .

(٤) سورة يوسف الآية : ٨٧ .

(٥) يقول المصنف - رحمه الله - في شرحه على الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة (ص/١٣٥) : اعلم أنه يجب على العبد أن يكون خائفاً راجياً لقوله تعالى : ﴿ أَمِنَ هُوَ قَائِمٌ آتَاءَ اللَّيْلِ سَاجِداً وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ .

والتحقيق أن الرجاء يستلزم الخوف ، ولولا ذلك لكان أمناً والخوف يستلزم الرجاء ولولا ذلك لكان قنوطاً ويأساً ، فالخوف المحمود الصادق ما حال بين صاحبه وبين محارم الله سبحانه ، فإذا تجاوز ذلك خيف منه اليأس والقنوط ، والرجاء المحمود رجاء عمل بطاعة الله =

[بداية الإنسان ونهايته]

وقد ورد في السنة حديث صحيح رواه أصحاب الكتب الستة عن ابن مسعود -رضى الله عنه- عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال : « إن أحدكم يجمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً [نطفة^(٦)] ، ثم يكون علقة مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يبعث الله إليه ملكاً ويؤمر بأربع كلمات^(٧) ويقال له اكتب عمله ، ورزقه ، وأجله ، وشقى^(٨) أو سعيد ، ثم ينفخ فيه الروح فإن الرجل منكم ليعمل^(٩) بعمل أهل الجنة

= على نور من ربه ، فهو راج لمثوبته ، أو رجل أذنب ذنباً ، ثم تاب منه إلى الله فهو راج لمغفرته ، -- إذا كان الرجل متبادياً في التفريط والخطايا ويرجو رحمة الله تعالى بلا عمل فهذا هو الغرور والتمنى والرجاء الكاذب .

قال أبو علي الروزباري -رحمه الله- الخوف والرجاء كجناحي الطائر إذا استويا استوى الطير ، وتم طيرانه ، وإذا نقص أحدهما وقع فيه النقص ، وإذا ذهب صار الطائر في حد الموت ، وهذا الذي ذكره الشيخ موافق لما روى عن عمر -رضى الله عنه- أنه قال : « لو نودي في المحشر أن واحداً يدخل الجنة لأرجو أن أكون أنا ، وإن قيل : إن واحداً يدخل النار أخاف أن أكون أنا » .

وقال بعضهم : ينبغي أن يكون الخوف غالباً عند الشباب والصحة والرجاء حال الكبر والمرض لقوله عليه الصلاة والسلام قبل موته بثلاث : « لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بره » .. اه .

(٦) ما بين المعكوفتين سقط استدركتاه من مصادره .

(٧) بالمنسوخة [كريمات] والصواب ما أثبتناه من مصادر تخرج الحديث .

(٨) بالمنسوخة [وشقيا] بالنصب ، وقد جاءت بالرفع في مصادر الحديث لأنها خبر لمبتدأ محذوف والتقدير (وهو شقى أو سعيد) .

(٩) بالمنسوخة [لا يعمل] والصواب ما أثبتناه .

حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار ، وإن الرجل منكم ليعمل بعمل أهل النار حتى لا يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخل الجنة» (١٠) .

(١٠) حديث صحيح : أخرجه البخارى (١٣٥/٤) ، (١٥٢/٨) ، ومسلم (٢٦٤٣) ، وأبو داود (٤٧٠٨) ، والترمذى (٢١٣٧) ، وابن ماجه (٧٦) ، وأحمد (٣٨٢/١) ، (٣٤٠) .

قال النووى (٤٣٤/١٦) :

المراد بالذراع التمثيل للقرب من موته ودخوله عقبه وأن تلك الدار ما بقى بينه وبين أن يصلها إلا كمن بقى بينه وبين موضع من الأرض ذراع والمراد بهذا الحديث أن هذا قد يقع في نادر من الناس لا أنه غالب فيهم ثم إنه من لطف الله تعالى وسعة رحمته انقلاب الناس من الشر إلى الخير في كثرة ، وأما انقلابهم من الخير إلى الشر ففى غاية التدور ونهاية القلة ، وهو نحو قوله تعالى : « إن رحمتى سبقت غضبى وغلبت غضبى » ، ويدخل فى هذا من انقلب إلى عمل النار بكفر أو معصية لكن يختلفان فى التخليد وعدمه فالكافر يخلد فى النار والمعاصى الذى مات موحداً لا يخلد فيها .

وفى هذا الحديث تصريح بإثبات القدر ، وأن التوبة تهدم الذنوب قبلها وأن مات على شئء حكم له به من خير أو شر إلا أن أصحاب المعاصى غير الكفر فى المشيئة والله أعلم . اهـ .

قلت : وقد فهم بعض الجهلة بل كثيرهم من الفرق المبتدعة هذا الحديث على نقيض ما روى إليه ، فالحديث كما بين الإمام النووى يصرح بأن التوبة تجب ما قبلها ، وفيه أيضاً تصريح بأن لا يفتر المؤمن بإيمانه ، وأن لا يتأدى فى الرجاء دون العمل لئلا ينتهى به إلى التفريط والأمن ، وبالتالي ينقص إيمانه ويقبل على المعاصى التى تورده . مورد الهلكة أقول إن جل ما فهموه من الحديث أن لا يسعوا ولا يطلبوا العلم إذ أن ما قدره الله كائن لا محالة فلا جدوى من السعى لطلب العلم أو الرزق أو التوسع والمسارعة فى الخيرات ، لأن الواحد منهم قد سبق عليه الكتاب فلا اختيار له فى أفعاله وهم بهذا يتسللون إلى مذاهب الجيرية ، وهذا محض جهل وسفسطة نعوذ بالله من ذلك ، ونبرأ إليه من كل سوء .

والآيات في هذا المعنى كثيرة ، والأحاديث في هذا المبنى شهيرة ،
وفي متن العقائد الموافق للمواقف والمقاصد : أن اليأس من الله كفر ،
والأمن من الله كفر .

إذا عرفت ذلك وحققت ما هنالك فاعلم ما نقل عن بعض
المشهورين بالمشيخة في زماننا أنه كان يتفوه بنحو قوله : « من رآني
دخل الجنة ، ولم يدخل النار » باطل وساقط عن درجة الاعتبار ، وإن
كان تعلق بعض الفجار واقترب بالمعاصي الكبائر اعتماداً على أنه قد رآه في
بعض الديار وذلك بأن هذا القائل حيث لا يقدر على أن يجزم بموت نفسه
على الإيمان كيف يتصور له أن يكون غيره سبب الأمن والأمان ؟ فهذا
الكلام [من] الشطحات التي هي خارجة عن سبيل الشريعة ، ومنهاج
الطريقة والحقيقة على أن إطلاق من رآني شامل للكفار والفجار .

ولو قيدنا أنه أراد المؤمن ، فمن أين له أن يموت مؤمناً ،
ولا يدخل النار بما وقع له من معصية صغيرة أو كبيرة ؟

ولو أراد أن كل مؤمن رآه ومات على الإيمان لم يدخل النار مخلداً ،
وأنه لا بد أن يدخل الجنة في آخر الأمر دخولاً مؤيداً فهذا مستفاد من
الحديث النبوي - ﷺ - « من قال لا إله إلا الله دخل الجنة » (١١) أي
استحق دخولها إن لم يقع ما يمنع دخولها ، وهذا أمر عام يشمل من رآه
ومن لم يره ، بل ربما يعذب من رآه ويغفر لمن لم يره إذا شاء الله .

(١١) حديث صحيح : ورد من طريق أربعة وثلاثين نفساً من الصحابة كما في « نظم
المتنائر » للكتاني (ص/٢٨) .

والحديث أخرجه مسلم (٥٥/١) ، والترمذي (٢٦٣٨) ، والنسائي في « عمل اليوم
والليل » (١١٣٦) من طريق عبد الرحمن بن عسيلة الصنابحي عن عبادة بن الصامت به .

وأما ما ادعى بعض من يزعم أن له مزية الفضل في هذا الفصل مع أنه خالي عن معرفة الفرع والأصل من أن هذا نظير قوله عليه السلام في حق أويس القرني^(١٢) « أنه يشفع لهذه الأمة أكثر من ربيعة ومضر »^(١٣)

(١٢) أويس القرني (٣٧ هـ - ٦٥٧ م)

هو أويس بن عامر بن جزء بن مالك القرني من بني قرن بن ردمان ابن ناجية بن مراد : أحد النساك العباد المقدمين ، من سادات التابعين أصله من اليمن ، يسكن القفار والرمال ، وأدرك حياة النبي - ﷺ - ولم يره وقد على عمر بن الخطاب وطلب عمر منه الدعاء ، وأقبل عليه الناس يطلبون دعاءه ففر هارباً ثم سكن الكوفة ، وشهد وقعة صفين مع علي ، ويرجح الكثيرون أنه قتل فيها .

انظر ترجمته في : طبقات ابن سعد (١١١/٦) ، وابن عساكر (١٥٧/٣) ، وميزان الاعتدال (١٢٩) ، وحلية الأولياء (٧٩/٢) ، الأعلام (٣٢/٢) .

(١٣) حديث حسن بمجموع طرقه . من حديث أبي أمامة - رضي الله عنه - :

ورد عنه من طرق :

الأول : عبدالرحمن بن ميسرة الحضرمي ، عنه : أخرجه أحمد (٢٥٧/٥) ، و٢٦١ و٢٦٧) ، والطبراني في « الكبير » (١٦٩/٨) من طريق حريز بن عثمان عن عبدالرحمن بن ميسرة به بلفظ :

« ليدخلن الجنة بشفاعة الرجل الواحد ليس بنبي مثل الحسين ، أو أحد الحسين ربيعة ومضر » .

قلت : وهذا إسناد ضعيف ، عبدالرحمن بن ميسرة مجهول الحال ، والله أعلم .

الثاني : القاسم بن عبدالرحمن ، عنه : أخرجه الطبراني في « الكبير » (٢٨٠/٨) : حدثنا محمد بن جابان ، حدثنا محمود بن غيلان ، حدثنا يزيد بن هارون ، حدثنا الوليد بن جميل ، عن القاسم به .

قلت : وهذا إسناد رجاله ثقات إلا الوليد بن جميل ، فهو صدوق ، ربما حدث عن القاسم بن عبدالرحمن بأحاديث منكورة ، وشيخ الطبراني محمد بن جابان لم أجد من ترجم له .

الثالث : أبو غالب ، عنه : أخرجه الطبراني في « الكبير » (٣٣٠/٨) من طريقين

عنه :

=

فيقال له لا تقس الخدادين بالملوك ، ولا طائفة الأغنياء بالفقير الصعلوك ، فإن كلامه عليه السلام صدق ، وأخباره حق ، وأما غيره فلا يدري ماذا يكسب غداً^(١٤) لا في الدنيا ولا في الآخرة أبداً .

فإن قلت لعله انكشف له هذا الأمر بأن يكون له الشفاعة في هذا القدر .

قلت لا اعتبار لمكاشفات الأولياء ، ومحاضرات الأصفياء ، بحيث يعتمد عليها بالكلية في الأمور الشرعية ، أو في الأطوار الحقيقية ، فإن الإنسان مادام في هذه الدار المشوبة بالأكدار لا تصفى له الأسرار ، ولا تنجلي له الأنوار ، بخلاف الأنبياء الأبرار ، والرسل الكبار .

ولذا قال تعالى : ﴿ لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد ﴾^(١٥) نعم ما يتعلق بالعقائد الدينية وفق

الأول : مبارك بن فضالة ، عنه : ومبارك بن فضالة هذا صدوق ، إلا أنه يدلس ويسوى الحديث .

الثاني : الحسين بن واقد ثقة له أوهام .

ومدار هذا الحديث على أبي غالب صاحب أبي أمامة ، وهو صالح الحديث ، وقد تويع كما تقدم .

فالحديث بمجموع الطرق يرتقى إلى درجة الحسن والله أعلم .

وفي الباب عن ابن عباس ، وأبي هريرة . ووائلة بن الأسقع ، وعبدالله بن أبي الجداء ، والحسن البصرى مرسلأ .

ولا يصح في شفاعة أويس القرني شيء ، والله تعالى أعلى وأعلم .

(١٤) فيه إشارة إلى قوله تعالى :

﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً وما تدرى نفس بأى أرض تموت ﴾ سورة لقمان/ ٣٤ . لأن الأزواق والآجال من الغيبات التي لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى ، وكذلك الموت على الإيمان أو الكفر ، ودخول الجنة أو النار .

(١٥) سورة ق الآية : ٢٢ .

الكتاب والسنة النبوية إذا كان صاحبها في المرتبة العلية يصلح له أن يقول : لو كشف الغطاء ما زددت يقينا .

ولذا قال إمامنا الأعظم وهَمَامُنَا الأقدم^(١٦) : عرفناك حق معرفتك عبدناك حق عبادتك ، كما قاله في الفقه الأكبر ، فتأمل وتدبر^(١٧) .

(١٦) يقصد الإمام أبا حنيفة النعمان وهو النعمان بن ثابت التيمي بالولاء ، الكوفي ، أبو حنيفة : إمام الحنفية ، الفقيه المجتهد المحقق أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة ، قيل : أصله من أبناء فارس ، ولد ونشأ بالكوفة ، وكان يبيع الحز ، ويطلب العلم في صباه ، ثم انقطع للتدريس والإفتاء ، عرض عليه القضاء مرتين فأبى وامتنع ورعاً فحبس من أجل ذلك إلى أن مات (سنة ١٥٠ هـ) .

وتنسب إليه رسالة « الفقه الأكبر » التي أشار المصنف إليها ، وهي مطبوعة بشرح الملا علي القاري - المصنف - ولم تصح نسبة الرسالة لأبي حنيفة كما قاله الزركلي في الأعلام .

تاريخ بغداد (١٣/٣٢٣-٤٢٣) ، وفيات الأعيان (٢/١٦٣) ، الأعلام (٨/٣٦) .

(١٧) كذا وردت العبارة في المنسوخة ، ولقد بحثت كثيراً عن هذه العبارة التي نسبها المصنف إلى الإمام أبي حنيفة بيد أني لم أجدها هذه العبارة منسوبة إليه ولم أجدها سوى قوله - في كتاب الفقه الأكبر المنسوب إليه - :

« نعرف الله حق معرفته كما وصف الله نفسه في كتابه بجميع صفاته وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له » اهـ .

وقال المصنف - علي القاري - في شرحه :

(نعرف الله حق معرفته) أي لا باعتبار كنه ذاته وإحاطة صفاته ، بل بحسب مقدور العبد وطاقته في جميع حالاته (كما وصف) أي الله سبحانه (نفسه في كتابه بجميع صفاته) أي ذاته .

قال المصنف : وأما قول من قال : ما عرفناك حق معرفتك فمبني على أن إدراك الذات ، والإحاطة بكنه الصفات ليس في قدرة المخلوقات لقوله تعالى : ﴿ لا تتركه الأبصار ﴾ ، ولقوله تعالى : ﴿ ولا يحيطون به علماً ﴾ فاختلاف القضية بتفاوت الحيثية =

وقد ذكر فيه ووالدا رسول الله - ﷺ - ماتا على الكفر ورسول
الله - ﷺ - مات على الإيمان .

أما المسألة المتقدمة فقد كتبت فيها رسالة مستقلة ، وأما
الأخيرة^(١٨) فتحيرت عند شرحي عليه حتى شرح الله صدرى ببعض ما
قصد إليه وهو أنه - ﷺ - من حيث كونه نبياً من الأنبياء وهم كلهم
معصومون عن الكفر في الابتداء والانتهاى نعتقد أنه مات على الإيمان ،
وأما غيره من الأولياء ، والعلماء ، والأصفياء ، فلا نجزم بموتهم على
الإيمان وإن ظهر منهم خوارق العادات ، وكال الحالات ، وجمال أنواع
الطاعات فإن مبنى أمره على العيان ، وهو مستور عن أفراد الإنسان ،
ولهذا كانت العشرة [المبشرة]^(١٩) وأمثالهم خائفين من انقلاب أحوالهم
وسوء آمالهم فى مآلهم .

= (وليس يقدر أحد أن يعبد الله تعالى حق عبادته كما هو أهل له) أى فى استحقاق
طاعته من حيث أن العبد عاجز عن مداومة ذكره ومواظبة شكره كما يشير إليه قوله تعالى :
﴿ وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ﴾ أى لا تطيقوا عدداً فضلاً عن القيام بشكرها وصرافها
إلى طاعة ربها .. فليس لأحد أن يقول : عبدت الله حق عبادته .. اه .
انظر : شرح الفقه الأكبر (ص/١٣٢ - ١٣٣) .

(١٨) يقصد بالمسألة المتقدمة « موت والدى الرسول على الكفر » ، ويقصد بالأخيرة
موت النبى - ﷺ - على الإيمان ، وقد نقل المصنف فى هذه الرسالة ما قاله هناك فى شرحه
على الفقه الأكبر بتامه .
انظر : شرح الفقه الأكبر للملا على القارى (ص/١٦٠-١٦١) .

(١٩) بالنسوخة [المشيرة بهم] والصواب ما أثبتناه من شرح الفقه الأكبر .

[موقف السلف من الشهادة بالجنة]

ثم اعلم أن للسلف في الشهادة بالجنة ثلاثة أقوال مرضية :
أحدها : أن لا يشهد لأحد إلا للأنبياء ، وهذا ينقل عن محمد بن
الحنفية^(٢٠) واختاره إمام الحنفية لأنه القضية القطعية^(٢١) .

وثانيها : أن يشهد لكل مؤمن جاء نص في حقه ، وهذا قول كثير
من العلماء لكنه حكم ظني في أصله .

وثالثهما : أن يشهد أيضاً لمن شهد له المؤمنون كما في الصحيحين
أنه [عليه الصلاة والسلام] مر بجزاة فأثنوا عليها بخير ، فقال
- صلى الله عليه وسلم - : « وجبت » ، ومر بأخرى فأثنوا عليها بشر فقال :
« وجبت » فقال عمر - رضى الله عنه - يارسول الله ما وجبت ؟ فقال

(٢٠) في الشرح عن محمد بن الحنفية والأوزاعي ..
ومحمد بن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي أبو القاسم المعروف
بابن الحنفية أحد الأبطال الأشداء في صدر الإسلام وهو أخو الحسن والحسين غير أن أهمها
فاطمة الزهراء ، وأمه خولة بنت جعفر الحنفية ينسب إليها تمييزاً له عنهما ، وكان يقول :
الحسن والحسين أفضل مني ، وأنا أعلم منهما كان واسع العلم ورعاً ، أسود اللون ، وأخبار
قوته وشجاعته كثيرة ، وكان المختار الثقفي يدعو الناس إلى إمامته ويزعم أنه المهدي ، وكانت
الكيسانية تزعم أنه لم يميت وأنه مقيم برضوى ، مولده ووفاته بالمدينة (٨١هـ) . الأعلام
للزركلي (٢٧٠/٦) .

(٢١) وقعت في شرح الفقه الأكبر للمصنف [وهذا أمر قطعي لا نزاع فيه] .

عليه السلام : « هذا أثنيتم عليه خيراً وجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً وجبت له النار أنتم شهداء الله في الأرض » (٢٢) .

وهذا مبني على أنا نحكم بالظواهر وأن الله يعلم ما في السرائر ، وفيه تنبيه على أن هذه الأمة لا تجتمع على الضلالة ، فليس لأحد أن يشهد لأحد من أرباب هذه الملة بعدم دخول النار ، أو وصول الجنة وإنما يجوز له أن يشهد بالثناء عليه إن رأى فيه خيراً بموجب حسن الظن ، والرعاية ، أو سبب ظهور العلم ، والعمل ، والصلاح ، والديانة ، وكذا له أن يشهد بالشر لأحد إذا رأى منه ما يدل على نفاقه ، أو شاهد فيه بعض الكبائر من شقاقه ، نحو أكل مال الحرام ، وأخذ مال الوقف من غير مراعاة ما يجب عليه من حق القيام .

ومن قبيل هذه الدعوى التي ليس تحتها المعنى ما ذكره بعض الجهلة أن شخصاً من أرباب الكشف كان يبكي لما ظهر له أن أحداً من

(٢٢) حديث صحيح : أخرجه أحمد (١٨٦/٣) ، والبخارى (٢٢٨/٣-فتح) ، ومسلم (٦٥٥/٢) ، والنسائي (٤٩/٤) من طرق عن عبدالعزيز بن صهيب ، عن أنس بلفظ : « مروا بجزاة فأنتم عليها خيراً ، فقال النبي - ﷺ - : « وجبت » ثم مروا بأخرى فأنتم عليها شراً ، فقال : « وجبت » ، فقال عمر بن الخطاب - رضي الله عنه - : ما وجبت ؟ قال : « هذا أثنيتم عليه خيراً فوجبت له الجنة ، وهذا أثنيتم عليه شراً فوجبت له النار ، أنتم شهداء الله في الأرض » .

وقوله : « أنتم شهداء الله في الأرض » قال الحافظ ابن حجر : أى : المخاطبون بذلك من الصحابة ومن كان على صفتهم من الإيمان ، وحكى ابن التين أن ذلك مخصوص بالصحابة لأنهم كانوا ينطقون بالحكمة بخلاف من بعدهم . هـ .

أهله في العذاب ، وأنه اجتمع بابين^(٢٣) عرني في هذا الباب ، فشطح له أنه لم يرني ، ولم يكن في بغداد ، وأمثال ذلك مما هو ظاهر الفساد فإن قلت لعل القائل رأى في المنام جمال النبي - ﷺ - وأشار إليه بهذا المقام .

قلت هذا لا يجوز مخالفته قواعد الإيمان وأحكام الإسلام لا يقال ورد أن « من رأى في المنام فقد رأى فإن الشيطان لا يتمثل لي »^(٢٤) فإن في تحقيقه كلاماً كثيراً ذكرناه في شرح السمائل^(٢٥) ما ظفرنا بنقله

(٢٣) هو محمد بن علي بن محمد بن العرني أبو بكر الخاتمي الطائفي الأندلسي ، المعروف بمحيي الدين بن عرني الملقب بالشيخ الأكبر فيلسوف من أئمة المتكلمين في كل علم ولد بالأندلس وانتقل إلى إشبيلية وقام برحلة فزار الشام وبلاد الروم والعراق والحجاز وأنكر عليه أهل الديار المصرية (شطحات) صدرت عنه فعمل بعضهم عن إراقة دمه كما أريق دم الحلاج وأشباهه ، وحبس فسعى في خلاصه علي بن فتح البجائي فنجا واستقر في دمشق فتوفي فيها (٦٣٨ هـ) وهو ، كما يقول الذهبي : قدوة القائلين بوحدة الوجود .

له نحو أربعمائة كتاب ورسالة ، منها :

« الفتوحات المكية » مطبوع في عشر مجلدات في التصوف وعلم النفس ، و « محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار » مطبوع في الأدب مجلدان ، و « ديوان شعر » مطبوع أكثره في التصوف إلى غير ذلك من المصنفات التي امتلأت بالبدع ، والشطحات الخارجة عن طريق أهل السنة . انظر : الأعلام (٦/٢٨١) .

(٢٤) حديث صحيح : أخرجه البخاري (٣/٣٨) ، ومسلم (٤/١٧٧٥) من طريق

أبي سلمة عن أبي هريرة مرفوعاً بلفظ :

« من رأى في المنام فسيراني في اليقظة ، أو لكأنما رأى في اليقظة ، فإن الشيطان لا

يتمثل لي » .

وأخرجه مسلم (٤/١٧٧٥) من طريق ابن سيرين ، عن أبي هريرة به باللفظ الذي

ذكره المصنف .

(٢٥) من مصنفات المؤلف ، واسمه : « جمع الوسائل في شرح السمائل » وهو شرح

لسمائل الترمذي ، ولا بن حجر الهيتمي شيخ المصنف كتاب أيضاً سماه : « أشرف الوسائل

إلى فهم السمائل » .

عن أرباب الفضائل ومجمل الكلام في مرام هذا المقام ما ذكره الإمام حجة الإسلام^(٢٦) أنه ليس المراد بقوله فقد رآني رؤية الجسم بل رؤية المنام الذي صار آلة يتأدى بها المعنى الذي في نفس الأمر والآلة إما حقيقية ، وإما خيالية ، والنفس غير المثال المتخيل فالشكل المرئي لا روحه - صلى الله عليه - ، ولا شخصه ، بل مثاله على التحقيق والله ولي التوفيق^(٥) .

(٢٦) يقصد أبا حامد الغزالي (٤٥٠-٥٠٥ هـ) وهو محمد بن محمد بن محمد الغزالي الطوسي أبو حامد حجة الإسلام : فيلسوف متصوف ، له نحو مئتي مصنف ثم مولده ووفاته في الطابران (قصة طوس بخراسان) رحل إلى نيسابور ثم إلى بغداد فالحجاز فبلاد الشام فمصر ، وعاد إلى بلده من كتبه : « إحياء علوم الدين » مطبوع في أربع مجلدات ، و « نهايت الفلاسفة » مطبوع ، و « الاقتصاد في الاعتقاد » مطبوع ، و « المستصفي من علم الأصول » مطبوع مجلدان ، « الوجيز » في فروع الشافعية ، و « إلجام العوام عن علم الكلام » وغير ذلك من المصنفات ، ولطه عبد الباقي سرور كتاب « الغزالي » مطبوع في سيرته ، ولزكي مبارك « الأخلاق عند الغزالي » ولمحمد رضا « أبو حامد الغزالي حياته ومصنفاته ، ولحسن عبد اللطيف الفيومي رسالة في « ما للغزالي وما عليه » مطبوع . وفيات الأعيان (٤٦٣/١) ، شذرات الذهب (١٠/٤) ، الأعلام (٢٢/٧) .

(*) قال النووي في شرحه على صحيح مسلم (٢٩/١٥) : اختلف العلماء في معنى قوله - صلى الله عليه - : « فقد رآني » فقال ابن الباقلاني معناه أن رؤياه صحيحة ليست بأضغاث ولا من تشبيهات الشيطان ويؤيد قوله رواية فقد رأى الحق أى الرؤيا الصحيحة قال : وقد يراه الرائي على خلاف صفته المعروفة كمن رآه أبيض اللحية وقد يراه شخصان في زمن واحد أحدهما في المشرق والآخر في المغرب ويراه كل منهما في مكانه وحكى المازري هذا عن ابن الباقلاني ثم قال : وقال آخرون بل الحديث على ظاهره والمراد أن من رآه فقد أدركه ، ولا مانع يمنع من ذلك والعقل لا يجمله حتى يضطر إلى صرفه عن ظاهره ، فأما قوله بأنه قد يرى على خلاف صفته أو في مكانين معاً فإن ذلك غلط في صفاته ، وتخيل لها على خلاف ما هي عليه ، وقد يظن الظان بعض الخيالات مرئياً لكون ما يتخيل مرتبطاً بما يرى في العادة فيكون ذاته - صلى الله عليه - مرئية وصفاته متخيلة غير مرئية والإدراك لا يشترط فيه تحديق الأبصار ولا قرب المسافة ولا كون المرئي مدفوناً في الأرض ولا ظاهراً عليها وإنما يشترط كونه موجوداً ولم يبق دليل على فناء جسمه - صلى الله عليه - بل جاء في الأحاديث ما يقتضى بقاءه قال ولو رآه يأمر بقتل من يحرم قتله كان هذا من الصفات المتخيلة لا المرئية هذا كلام المازدي ، قال القاضي =

[هل يجوز الاعتماد على رؤية المنام ؟]

وحاصله أنه لا اعتماد على رؤية المنام في حق غير الأنبياء عليهم السلام مع أن الرؤيا قد تحتاج إلى تعبير يناسب الرأي أو غيره في ذلك المقام فلو فرض أن أحداً رأى النبي - ﷺ - وأمره بفعل شيء أو تركه على خلاف قواعد الإسلام فليس له القيام بذلك الأمر بإجماع العلماء الأعلام ، ومن هنا قال صاحب المواقف : أما الرؤيا فخيال باطل أى ليس تحتها طائل عند المتكلمين ، أما عند المعتزلة فلفقد شرائط الإدراك ، وأما عند الأصحاب إذ لم يشترطوا شيئاً من ذلك فلأنه خلاف العادة يعنى فلا يبنى عليه ما يتعلق بأمر العبادة ولا بالحكم على أحد بالشقاوة والسعادة رزقنا الله الحسنى والزيادة .

= ويحتمل أن يكون قوله - ﷺ - فقد رأى أو فقد رأى الحق فإن الشيطان لا يتمثل في صورتي المراد به إذا رآه على صفته المعروفة له في حياته فإن رأى على خلافها كانت رؤيا تأويل لا رؤيا حقيقة ، وهذا الذى قاله القاضى ضعيف بل الصحيح أنه يراه حقيقة سواء كان على صفته المعروفة أو غيرها لما ذكره المازرى قال القاضى قال بعض العلماء خص الله تعالى النبي - ﷺ - بأن رؤية الناس إياه صحيحة وكلها صدق ومنع الشيطان أن يتصور في خلقته لئلا يكذب على لسانه في النوم كما خرق الله تعالى العادة للأنبياء عليهم السلام بالمعجزة وكما استحال أن يتصور الشيطان في صورته في اليقظة ولو وقع لاشتبه الحق بالباطل ولم يوثق بما جاء به مخافة من هذا التصور فحماها الله تعالى من الشيطان ونزغته ووسوسته وإلقائه وكيدته قال : وكذا حمى رؤيتهم أنفسهم ، قال القاضى واتفق العلماء على جواز رؤية الله تعالى في المنام وصحتها وإن رآه الإنسان على صفة لا تليق بحاله من صفات الأجسام لأن ذلك المرئى غير ذات الله تعالى إذ لا يجوز عليه سبحانه وتعالى التجسم ولا اختلاف الأحوال بخلاف رؤية النبي - ﷺ - ، قال ابن الباقلانى رؤية الله تعالى في المنام خواطر في القلب وهى دلالات للرأى على أمور مما كان أو يكون كسائر المرئيات والله أعلم . اهـ .

[السلف وخشيتهم لله]

ومما يؤيد ما ذكرناه في هذا المقام أن المشايخ الكرام والعلماء الأعلام كانوا أخوف لله من سائر الأنام كما يشير إليه قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ (٢٧) ويدل عليه قوله عليه السلام : « أنا أخشاكم لله » (٢٨) .

(٢٧) سورة فاطر الآية : ٢٨ .

* قال العماد بن كثير : « إنما يخشاه حق خشيته العلماء العارفون به لأنه كلما كانت المعرفة للعظيم القدير العليم الموصوف بصفات الكمال المنعوت بالأسماء الحسنى كلما كانت المعرفة به أتم والعلم به أكمل كانت الخشية له أعظم وأكثر » هـ .

* وقال الطبري : « إنما يخاف الله فيتقى عقابه بطاعته العلماء بقدرته على ما يشاء من شيء وأنه يفعل ما يريد لأن من علم ذلك أيقن بعقابه على معصيته فخافه ورهبه خشية منه أن يعاقبه » هـ .

* قرأها عمر بن عبدالعزيز وثحكى عن أبي حنيفة برفع لفظ الجلالة ، ونصب (العلماء) قال الزنجشري : الخشية في هذه القراءة استعارة ، والمعنى : إنما يجلبهم ويعظمهم كما يُجلبُ المهيب الخشي من الرجال بين الناس من بين جميع عبادته . هـ .
انظر : تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٦/٦٣٠) ط . دار الشعب .
جامع البيان للطبري (٢٢/١٣٢) مصطفى الباني الحلبي .
الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١٤/٣٤٣) مكتبة الرياض الحديثة .
وابن رجب الحنبلي رسالة في الكلام على هذه الآية نشرتها دار الصحابة بتحقيقنا فراجعها إن شئت .

(٢٨) حديث صحيح : أخرجه البخاري في « صحيحه » (٧/٢) ، عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - أنه قال : « جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي - ﷺ - يسألون عن عبادة النبي - ﷺ - فلما أُخبروا كأنهم تقالوها ، فقالوا : وأين نحن من النبي - ﷺ - وقد غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ، قال أحدهم : أما أنا فإني أصلي الليل أبداً ، وقال آخر : أنا أصوم الدهر ولا أفطر ، وقال آخر : أنا أعتزل النساء فلا أتزوج أبداً ، فجاء رسول الله - ﷺ - فقال : أنتم الذين قلتم كذا وكذا ، أما والله إني لأخشاكم لله وأنتم كملتم له ، لكنني أصوم وأفطر ، وأصلى وأرقد ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني » .

[آخر الخارجين من النار]

ومن هنا ذكر الحسن البصرى^(٢٩) ، وهو سيد التابعين أن آخر من يخرج من النار رجل يقال له هناد بعدما عذب ألف عام ينادى يا حنان يا منان فبكى وقال : ليتنى كنت هذا واستعجبوا منه فقال : ويحكم ألسنت يوماً يخرج في الجملة ولا تجلد فيها .

(٢٩) الحسن البصرى : (٢١-١١٠ هـ)

هو الحسن بن يسار البصرى ، أبو سعيد : تابعى كان إمام أهل البصرة وحرير الأمة في زمنه ، وهو أحد العلماء الفقهاء الفصحاء الشجعان النساك ولد بالمدينة ، وشب في كنف على بن أبى طالب ، وعظمت هيئته في القلوب فكان يدخل على الولاة فيأمرهم وينهاهم لا يخاف في الحق لومة لائم ، قال الغزالي : كان الحسن البصرى أشبه الناس كلاماً بكلام الأنبياء ، وأقربهم هدياً من الصحابة ، وكان غاية في الفصاحة تنصب الحكمة من فيه ، وله مع الحجاج بن يوسف مواقف ، وقد سلم من أذاه ، ولما ولي عمر بن عبدالعزيز الخلافة كتب إليه : إني قد ابتليت بهذا الأمر فانظر لى أعواناً يعينونى عليه ، فأجابته الحسن : أما أبناء الدنيا فلا تريدهم ، وأما أبناء الآخرة فلا يريدونك ، فاستعن بالله ، وأخبره كثيرة وله كلمات سائرة ، وكتاب في فضائل مكة .

تهذيب التهذيب (٢/٢٦٣) ، وفيات الأعيان (٢/٦٩) ، ميزان الاعتدال (١/٢٥٤) ، حلية الأولياء (٢/١٣١) ، الأعلام (٢/٢٢٦) .

[هوان الذنوب على الله]

قال حجة الإسلام : ولقد بلغنا عن يوسف بن أسباط^(٣٠) أنه قال : دخلت على سفيان الثوري^(٣١) فبكي ليلة أجمع فقلت : « بكاؤك هذا على الذنوب ، قال : فحمل تيناً من الأرض ، وقال : الذنوب أهون على الله من هذا وإنما أخشى أن يسلبني الله الإسلام » انتهى .

(٣٠) هو يوسف بن أسباط الشيباني الزاهد الواعظ كنيته أبو محمد ، سكن أنطاكية وكان من عباد أهل الشام وقرائهم كان لا يأكل إلا الحلال المحض فإن لم يجده استغف التراب ، وكان من خيار أهل زمانه ، مات سنة ١٩٥ هـ .
روى عن محل بن خليفة وسفيان الثوري وعائذ بن شريح ، وروى عنه المسيب بن واضح ، وعبدالله بن حقيق الأنطاكي .
وثقه ابن معين ، وقال أبو حاتم لا يحتج به ، وقال ابن عدى : يوسف عندي من أهل الصدق إلا أنه لما عدم كتبه كان يحمل على حفظه فيخلط ويشتهبه عليه ولا يتعمد الكذب .
[لسان الميزان (٣١٧/٦)] .

(٣١) سفيان الثوري : (٩٧-١٦١ هـ)

هو سفيان بن سعيد بن مسروق الثوري من بني ثور بن عبد مناة من مضر أبو عبد الله أمير المؤمنين في الحديث ، كان سيد أهل زمانه في علوم الدين والتقوى ، ولد ونشأ في الكوفة ، وراوده المنصور العباسي على أن يلي الحكم فأبى وخرج من الكوفة سنة (١٤٤ هـ) فسكن مكة والمدينة ثم طلبه المهدي فتوارى وانتقل إلى البصرة فمات فيها مستخفياً له من الكتب « الجامع الكبير » و « الجامع الصغير » كلاهما في الحديث ، وكتاب في الفرائض وكان آية في الحفظ ولابن الجوزي كتاب في مناقبه .
وفيات الأعيان (٢١٠/١) ، طبقات ابن سعد (٢٥٧/٦) ، وحلية الأولياء (٣٥٦/٦) ، وعهدب التهذيب (١١١/٤ - ١١٥) ، الأعلام (١٠٤/٣ - ١٠٥) .

[الأعمال بالخواتيم]

وروى أن سلطان العارفين أبا يزيد البسطامي^(٣٢) قدّس الله سرّه السامى أخذ مرآة ونظر فيها فقال ظهر الشيب ، ولم يذهب العيب وما أدرى ما فى الغيب إيماءً إلى قوله : ﴿ وما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ﴾^(٣٣) وإشارة إلى قوله عليه التحية والتسليم : « إنما الأعمال بالخواتيم »^(٣٤) ، وامتحنه واحد من الفقراء فقال له : ألحيتك أفضل من ذنب الكلب ؟ فبكى وقال إن مت على الإسلام فلحيتى خير وإلا فذنب الكلب ، وكأنه تأمل قوله تعالى : ﴿ واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين ولو شئنا لرفعناه بها

(٣٢) أبو يزيد البسطامى : (١٨٨ - ٢٦١ هـ)

هو طيفور بن عيسى البسطامى ، أبو يزيد ، زاهد مشهور ، له أخبار كثيرة ، كان ابن عربى يسميه أبا يزيد الأكبر ، نسبته إلى بسطام (بلدة بين خراسان والعراق) أصله منها ، ووفاته فيها ، قال المناوى : وقد أفردت ترجمته بتصانيف حافلة ، وفى المستشرقين من يرى أنه كان أول قائل بمذهب الفناء ، ويعرف أتباعه بالطيفورية أو البسطامية . (الأعلام ٢٣٥/٣) .

(٣٣) سورة لقمان الآية ٣٤ .

(٣٤) حديث صحيح : أخرجه أحمد (٣٣٥/٥) ، والبخارى (١٥٥/٨) - مطولاً -

من طريق أبى حازم ، عن سهل بن سعد به ، وفيه قصة .
وفى الباب عن معاوية وعائشة -رضى الله عنهما- .

ولكنه أخذ إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب ﴿٣٥﴾ ونظر في قصة أصحاب الكهف : ﴿ وكلبهم باسط ذراعيه بالصيد ﴾ ﴿٣٦﴾ .

[عاقبة الميل إلى الدنيا]

فقد ورد أن بلعم ^(٣٧) يتصور بصورة ذلك الكلب فيدخل النار ، والكلب يتصور بصورة بلعم فيدخل الجنة ، وقد كان بلعم بن باعوراء

. (٣٥) سورة الأعراف الآية : ١٧٥-١٧٦ .
وتمام الآية :

﴿ ... إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ .

ونقل ابن جرير عن ابن عباس في تفسير الآية قال : « كان في بنى إسرائيل بلعام بن باعر أوفى كتاباً ، فأخذ إلى شهوات الأرض ولذتها وأموالها ، لم ينتفع بما جاء به الكتاب » . قال ابن جرير : « ثم اختلف أهل التأويل في السبب الذي من أجله جعل الله مثله كمثل الكلب فقال بعضهم : مثله به في اللهث لتركه العمل بكتاب الله وآياته التي آتاها إياه وإعراضه عن مواعظ الله التي فيها إعراض من لم يؤته الله شيئاً من ذلك ، فقال جل ثناؤه فيه : إذا كان سواء أمره وُعظ بآيات الله التي آتاها إياه أو لم يوعظ في أنه لا يتعظ بها ، ولا يترك الكفر به ، فمثله مثل الكلب الذي سواء أمره في ههنا ، طرد أو لم يطرد إذا كان لا يترك اللهث بحال . اهـ .

انظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري (١٢٧/٩-١٢٨) الطبعة الثالثة - مصطفى الباني الحلبي .

. (٣٦) سورة الكهف الآية : ١٨ .

(٣٧) هو بلعام بن باعوراء ، كان يعلم اسم الله الأعظم ، وكان مجاب الدعوة ، وقد سأله قومه أن يدعو على موسى وقومه حين جاءوا ليفتحوا تلك البلاد ، فامتنع بلعام على قومه ، ولما ألحوا عليه ركب حمارة له ثم سار نحو معسكر بنى إسرائيل فأخذ يدعو عليهم فجعل لسانه يطيعه إلا أن يدعو لموسى وقومه ويدعو على قوم نفسه فلاموه على ذلك واعتذر إليهم بأنه لا يجرى على لسانه إلا هذا وقال لقومه ذهبت مني الآن الدنيا والآخرة ولم =

بمجيئ إذا نظر يرى العرش ، وكان في مجلسه اثني عشر ألف محبرة للمتعلمين الذين يكتبون عنه العلم ، ولم يكن له إلا زلة واحدة مال إلى الدنيا وأهلها وهلة وطرق لولى من أولياء الله حرمة فسلب عنه المعرفة واستحق العقوبة المعجلة والمؤجلة .

[عاقبة التهمة والحسد]

وقد حكى أن تلميذ الفضيل بن عياض^(٣٨) حضرته الوفاة فدخل عليه الفضيل وجلس عند رأسه ، وقرأ سورة يس فقال يا أستاذ لا تقرأ هذه فسكت ثم لقنه فقال : قل لا إله إلا الله ، فقال : لا أقولها لأنى برىء منها ومات على ذلك فدخل الفضيل منزله ، وجعل يبكى أربعين يوماً لم يخرج من البيت ثم رآه في النوم وهو يسحب به إلى جهنم ، فقال له : بأى شيء نزع الله المعرفة عنك وكنت أعلم تلاميذى ؟

قال : بثلاثة أشياء أولها التهمة ، والثانى الحسد ، والثالث : كان لى علة فجئت إلى طبيب فسألته عنها فقال تشرب فى كل سنة قدحاً من

= يبق إلا المكر والحيلة ، ثم أمر قومه أن يزينا النساء ويحثوهن بالأمعة إلى قوم موسى لعلهم يقعون فى الزنا فإنه متى زنى رجل منهم نزلت عليهم اللعة ، وانتصر عليهم وقومه ، ففعلوا وزينا نساءهم فمرت إحداهن على رجل من عظماء بنى إسرائيل فواقعها فأرسل الله الطاعون على بنى إسرائيل حتى جاء فنحاص بن العزار بن هارون فقتلها بجرته ورفعها عليها فرفع الله عنهم البلاء .

ذكر العماد بن كثير هذا الخبر فى تفسيره ، وفى البداية والنهاية (٣٢٢/١) وذكره ابن جرير فى تفسيره (١٢٦/٩) .

(٣٨) هو الفضيل بن عياض بن مسعود التميمى البربوعى ، أبو على : شيخ الحرم المكى من أكابر العباد الصالحاء كان ثقة فى الحديث أخذ عنه خلق منهم الإمام الشافعى ولد فى سمرقند ، ونشأ بأبيورد ، ودخل الكوفة وهو كبير وأصله منها ، ثم سكن مكة ، وتوفى بها (١٨٧ هـ) [الأعلام (١٥٣/٥)]

خمر فإن لم تفعل يبقى بك العلة فكنت أشربها « نعوذ بالله من سخطه
الذى لا طاقة لنا به .

وكان سفيان الثورى [يقول] ما من أحد على دينه إلا سلب .

[إياك والاعتزاز]

وقال بعضهم : إذا سمعت بحال الكفار وخلودهم في النار فلا تأمن
على نفسك في تلك الحالة فإن الأمر على الخطر ، ولا يدري ماذا يكون
من العاقبة ، وما الذى سبق لك في السابقة ، ولا تغتر بصفاء الأوقات ،
فإن تحتها غوامض الآفات .

وقال بعضهم : يامعشر المغترين بالعصم إن تحتها أنواع النقم ،
زين الله لإبليس بدقائق نعمته ، وهو عنده في حقائق لعنته ، وزين بلعم بن
باعوراء بأنوار ولايته ، وهو عنده في أطوار عداوته .

وكان إبراهيم^(٣٩) بن أدهم يقول كيف نأمن وإبراهيم الخليل
يقول : ﴿ واجتنبني وبيي أن نعبد الأصنام ﴾^(٤٠) ويوسف الصديق
يقول : ﴿ توفني مسلماً وألحِقني بالصالحين ﴾^(٤١) .

(٣٩) هو إبراهيم بن منصور التميمي البلخي أبو إسحاق : زاهد مشهور ،
كان أبوه من أهل الغنى في بلخ ، فتفقه ورحل إلى بغداد ، وجمال في العراق والشام والحجاز
وأخذ عن كثير من علماء الأقطار الثلاثة ، وكان يعيش من العمل بالحصاد وحفظ البساتين
والحمل والطحن ويشترك مع الغزاة في قتال الروم ، كان يصوم في السفر والإقامة ، وينطق
بالعربية الفصحى لا يلعن ، وكان إذا حضر مجلس سفيان الثورى وهو يعظ أوجز سفيان في
كلامه مخافة أن يزل . توفي سنة (١٦١ هـ) [الأعلام (٣١/١)]

(٤٠) سورة إبراهيم الآية : ٣٥ .

(٤١) سورة يوسف الآية : ١٠١ .

والحاصل أن الأمر مبهم ، والخطر معظم ، فلا يدري أحد غير الأنبياء أنه من أى الفريقين فى قوله تعالى : ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ (٤٢) وفى قوله سبحانه : ﴿ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنْكُمْ كَافِرٌ وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ ﴾ (٤٣) وفى قوله عز وجل : ﴿ يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (٤٤) .

ومن هنا قال عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- : « لما كان بين خوف العقاب ورجاء الثواب لو قيل لى يوم القيامة لن يدخل الجنة إلا واحد أرجو أن أكون أنا وإن كان قيل لن يدخل النار إلا واحد أخاف أن أكون أنا » .

وتحقيق هذا المقام يستدعى الإطناب فى الكلام فلنعرض عن هذا المرام .
فإن قلت: الأولياء يسلم لهم فى أحوالهم، ولا يعترض فى أقوالهم ،

(٤٢) سورة الشورى الآية : ٧ .

(٤٣) سورة التغابن الآية : ٢ .

(٤٤) سورة آل عمران الآية : ١٠٦-١٠٧ .

قلت لا نسلم ذلك فقد اعترض شيخ الإسلام وقطب الأنام نديم الباري مولانا عبد الله الأنصاري^(٤٥) على ما حكى عن أبي يزيد البسطامي أنه قال ذهبت من العرش وضربت خيمة مقابل العرش فقال لعله كذب عليه فإن هذا الكلام في الشريعة كفر ، وفي الحقيقة بُعد وهجر .

ولقد ذكر القاضي عياض في كتابه الشفاء أن فقهاء بغداد أيام المقتدر^(٤٦) أجمعوا على قتل الحلاج^(٤٧) ، وصلبه لدعواه الإلهية ، والقول

(٤٥) عبد الله الأنصاري : (٣٩٦-٤٨١ هـ)

هو عبد الله بن محمد بن علي الأنصاري الهروي أبو إسماعيل : شيخ خراسان في عصره من كبار الحنابلة ، من ذرية أبي أيوب الأنصاري ، كان بارعاً في اللغة حافظاً للحديث ، عارفاً بالتاريخ والأنساب مظهراً للسنة داعياً إليها ، امتحن وأوذى وسمع يقول : « عُرضت على السيف خمس مرات ، لا يقال لي ارجع عن مذهبك لكن يقال لي اسكت عن مخالفتك ، فأقول : لا أسكت » من كتبه « ذم الكلام وأهله » ، وكتاب « الأربعين » في التوحيد ، و « منازل السائرين » مطبوع ، و « سيرة الإمام أحمد بن حنبل » في مجلد .
انظر : الذليل على طبقات الحنابلة (٦٤/١) ، والأعلام (١٢٢/٤) .

(٤٦) المقتدر : (٢٨٢ - ٣٢٠ هـ)

هو جعفر بن أحمد بن طلحة ، أبو الفضل ، المقتدر بالله ابن المعتضد ابن الموفق : خليفة عباسي ولد في بغداد ، وبويع بالخلافة بعد وفاة أخيه المكتفى سنة (٢٩٥ هـ) فاستصغره الناس فخلعوه (سنة ٢٩٦ هـ) ونصبوا عبد الله بن المعتز ، ثم قتلوا ابن المعتز وأعيد المقتدر بعد يومين فطالت أيامه وكثرت فيها الفتن .

الكامل لابن الأثير (٣/٨-٧٥) ، تاريخ بغداد للمخطيب (٧/٢١٣) ، الأعلام للزركلي (١٢١/٢) .

(٤٧) الحلاج (٣٠٩ هـ) هو الحسين بن منصور الحلاج ، أبو مغيث فيلسوف ، يعد تارة في كبار المتعبدين والزهاد ، وتارة في زمرة الملحدين ، أصله من بيضاء فارس ، ونشأ بواسط العراق (أوبتستر) ، وانتقل إلى البصرة ، وحج ، ودخل بغداد وعاد إلى تستر ، ظهر أمره سنة ٢٩٩ هـ ، وكان يظهر مذهب الشيعة للملوك (العباسيين) ومذهب الصوفية للعامة وهو في تضاعيف ذلك يدعى حلول الإلهية فيه ، وكثرت الوشائيات به إلى المقتدر العباسي فأمر بالقبض عليه ، قال ابن خلكان : وقطعت أطرافه الأربعة ثم حُز رأسه =

بالحللول وقوله أنا الحق مع تمسكه في الظاهر بالشرعية ولم يقبلوا تويته (٤٨) .

وقد اعترض الشيخ علاء الدين الديفلة السمناني (٤٩) على ابن العربي (٥٠) في قوله أوائل الفتوحات (٥١) سبحانه من أوجد الأشياء وهو

= وأحرقت جثته ولما صارت رماداً ألقيت في دجلة، ونصب الرأس على جسر بغداد، وقال ابن النديم في وصفه : كان محتالاً يتعاطى مذاهب الصوفية ويدعى كل علم ، جسوراً على السلاطين ، مرتكباً للعظام يروم إقلاب الدول ويقول بالحللول .
البداية والنهاية (١٣٢/١١) ، تاريخ بغداد (١١٢/٨) ، لسان الميزان (٣١٤/٢) ، الأعلام (٢٦٠/٢) .

(٤٨) قال المصنف - رحمه الله - في شرح الشفا (٤٧٤/٥) :
« قوله (وصلبه لدعواه الإلهية والقول بالحللول) كغيره من المتصوفة المتصوفة بسمة الإسلام من الوجودية وغيرهم قالوا : إن السالك إذا وصل فرمما حل الله فيه كالماء في العود الأخضر بحيث لا تمايز ولا تغاير ولا اثنية وصح أن يقول هو أنا ، وأنا هو مع امتناعه حقيقة لصيرورة أحد شيئين بعينه الآخر ، والآخر بعينه هو كحكم العقل ضرورة بدون احتياج إلى حجة ، ولا يمتنع مجازاً بأن يكون بطريق واحدة إما اتصالية كجمع مائين في إناء واحد واجتماعية كامتزاج ماء وتراب حتى صار طيناً ، وإما طريق كون وفساد كصيرورة ماء بالغليان هواء واحداً واستحالة أي تغير كصيرورة جسم بعد كونه سواداً بياضاً أو عكسه ، وهذا كله في حق الله تعالى محال لتنزهه عن الحللول والاتصال والانفصال وما للتراب ورب الأرباب وإنما هو انعكاس نور من أنواره ، وسر من أسراره ، ويلمح في قلب السالك المتصف بالتخلية والتحية وكإل التصفية فقد يتوهم أنه حل فيه كما يتوهم الطفل أنه يرى الشمس في الماء . اهـ .

(٤٩) كذا وردت بالمنسوخة ولم أجد له ترجمة .

(٥٠) الأصل فيه (ابن عربي) بالتنكير وهو غير أبي بكر بن العربي الإشبيلي المالكي من حفاظ الحديث من كتبه : « العواصم من القواصم » مطبوع جرّان ، و « عارضة لأحوذى في شرح الترمذى » مطبوع ، و « أحكام القرآن » مطبوع وغير ذلك .

(٥١) من مصنفات ابن عربي ، واسمه « الفتوحات المكية في معرفة أسرار المالكية والملكية » .

عينها^(٥٢) وكفره بهذه المقالة وأمثالها وقد أوضحت هذه المسألة في رسالة مستقلة^(*).

وقد صرح ابن المقرئ^(٥٣) في الإرشاد^(٥٤) أن من شك في أن طائفة ابن العربي شر من اليهود والنصارى فقد كفر وقد صدق في ذلك لأنهم سبب الضلالة ، وباعت الجهالة فيما بين المسلمين لا سيما وقد اشتهروا بأنهم من المتصوفين ، والعامّة لم يفرقوا بين توحيد الملحد وتوحيد الموحد

(٥٢) قال المصنف : « وأنحس من النصارى طائفة ابن عري حيث يقولون في قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم ﴾ إنما كفروا لحصرهم الألوهية في ابن مريم بناء على أصلهم الفاسد أن الله عين الأشياء ، وضررهم على المسلمين أكثر من ضرر جميع الكفرة والمبتدعين فإن كثيراً من الناس يعظمونهم ويسمعون كلامهم ، ويظالعون كتبهم ، ويتبعون مرامهم ، ويسمون رئيسهم بالشيخ الأكبر الذى يدعى أنه خاتم الأولياء ، وأنه يستفيض منه خاتم الأنبياء وشبه نفسه بلينة ذهب ، وشبه سيد البشر بلينة فضة ونحو ذلك . اهـ .

انظر : شرح الشفا للمصنف (٤٠٧/٥) .

(٥) الرد على ابن العربي في كتابه الفصوص وعلى القائلين بالحلول والاتحاد . مخطوط .

(٥٣) ابن المقرئ (٧٥٥ - ٨٣٧ هـ)

هو إسماعيل بن أنى بكر بن عبد الله بن إبراهيم الشرجى الحسينى الشاورى اليمنى : باحث من أهل اليمن ، والحسينى نسبة إلى أبيات حسين (باليمن) مولده فيها ، والشرجى نسبة إلى شرجة (من سواحلها) والشاورى نسبة إلى بنى شاور (قبيلة) أصله منها ، تولى التدريس بتعز وزيد ، وولى إمرة بعض البلاد فى دولة الأشرف ، ومات بزويد ، له تصانيف كثيرة منها : « عنوان الشرف الوافى فى الفقه والنحو والتاريخ والعروض والقوافى » مطبوع ، و « ديوان شعر » مطبوع ، و « الإرشاد » فى فروع الشافعية مطبوع ، وغير ذلك . [الأعلام (٣١٠/١-٣١١)]

(٥٤) هو كتاب فى فروع الشافعية اختصر به الحاوى ، وقد شرحه شيخ القارى ابن حجر الهيتمى وسماه « الإمداد فى شرح الإرشاد » .

فعليك بما قاله الجنيد^(٥٥) سيد الطائفة وشيخ الطريقة أن طريقنا هذا مقيد بالكتاب والسنة فمن لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه فلا يقتدى به^(٥٦) .

(٥٥) هو الجنيد بن محمد بن الجنيد البغدادي الخزاز أبو القاسم : صوفي ، من العلماء بالدين ، مولده ومنشأه ووفاته ببغداد ، أصل أبيه من نهاوند ، وكان يعرف بالقواريري نسبة لعمل القوارير ، وعرف الجنيد بالخرزاز لأنه كان يعمل الخبز وهو أول من تكلم في علم التوحيد ببغداد ، وقال ابن الأثير في وصفه : إمام الدنيا في زمانه وعده العلماء شيخ مذهب التصوف لضبط مذهبه بقواعد الكتاب والسنة ولكونه مصوناً من العقائد الذميمة محمى الأساس من شبه الغلاة ، سالماً من كل ما يوجب اعتراض الشرع ، له « رسائل » منها ما كتبه إلى بعض إخوانه ومنها ما هو في التوحيد والألوهية ، والغناء ومسائل أخرى وله « دواء الأرواح » مخطوط .

وفيات الأعيان (١١٧/١) . وحلية الأولياء (٢٥٥/١٠) ، وصفة الصفوة (٢٣٥/٢) ، والأعلام (١٤١/٢) .

(٥٦) روى أبو نعيم هذا الأثر في حلية الأولياء (٢٥٥/١٠) ولفظه : « علمنا مضبوط بالكتاب والسنة ، من لم يحفظ القرآن ولم يكتب الحديث ولم يتفقه لا يقتدى به » اهـ .

وقد ورد عن الإمام مالك^(٥٧) نظير ذلك حيث قال : من تصوف ولم يتفقه فقد تزندق ، ومن تفقه ولم يتصوف فقد تفسق ، ومن جمع بينهما فقد تحقق ، رزقنا الله حسن العقيدة والتوبة الصحيحة الوثيقة وتوفيق العلم النافع والعمل الصالح المقرونين بالإخلاص النافع وحسن الخاتمة في آخر النفس الواقع بأن أقرن بين العلم اليقين ، والعين اليقين ، وقر عيننا بكشف مقام حق اليقين .

والصلاة والسلام على سيد المرسلين
والحمد لله رب العالمين
آمين

(٥٧) الإمام مالك (٩٣ - ١٧٩ هـ)

هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي الحميري ، أبو عبدالله : إمام دار الهجرة وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة وإليه تنسب المالكية ، مولده ووفاته في المدينة ، كان صلباً في دينه بعيداً عن الأمراء والملوك ، سأله المنصور أن يضع كتاباً للناس يحملهم على العمل به ، فصنف (الموطأ) مطبوع ، وله رسالة في «الوعظ» مطبوع ، ورسالة في «الرد على القدرية» و«تفسير غريب القرآن» .

انظر : تهذيب التهذيب (٥/١٠) ، وصفة الصفوة (٩٩/٢) ، والحلية (٣١٦/٦) ، والأعلام (٢٥٧/٥) .

تم التحقيق والله الحمد والمنة

مصادر التحقيق

- ١ - البدر الطالع في أعيان القرن التاسع : للشوكاني - دار المعرفة .
- ٢ - الأعلام : لخير الدين الزركلي - ط. دار العلم للملايين .
- ٣ - معجم المؤلفين : لرضا كحالة .
- ٤ - كشف الظنون : لحاجي خليفة .
- ٥ - المعجم الوسيط : ط. دار المعارف .
- ٦ - لسان العرب : لابن منظور - ط. دار صادر .
- ٧ - روح المعاني : للألوسي - دار إحياء التراث العربى .
- ٨ - شرح الفقه الأكبر : للملاى على القارى .
- ٩ - صحيح البخارى : ط. دار الحديث القاهرة .
- ١٠ - صحيح مسلم : ط. دار إحياء الكتب العربية - محمد فؤاد عبد الباقي .
- ١١ - سنن أبى داود : تحقيق د. عزت دعاس .
- ١٢ - سنن الترمذى : تحقيق أحمد شاكر .
- ١٣ - سنن النسائى : تحقيق عبدالفتاح أبو غدة .
- ١٤ - سنن ابن ماجة : تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي .
- ١٥ - مسند أحمد بن حنبل : المكتب الإسلامى .
- ١٦ - عمل اليوم والليلة : للنسائى .
- ١٧ - نظم المتناثر : للكتانى .
- ١٨ - الطبقات الكبرى : لابن سعد - ط. دار التحرير القاهرة .
- ١٩ - تهذيب تاريخ دمشق : لابن عساكر - ط. دار المسيرة .

- ٢٠- ميزان الاعتدال : للذهبي - ط. دار المعرفة - بيروت .
- ٢١- حلية الأولياء : لأبي نعيم الأصفهاني - ط. السعادة .
- ٢٢- المعجم الكبير : للطبراني - تحقيق حمدي السلفي .
- ٢٣- المعجم الصغير : للطبراني .
- ٢٤- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي .
- ٢٥- وفيات الأعيان : لابن خلكان - ط. دار صادر .
- ٢٦- شذرات الذهب : لابن العماد .
- ٢٧- تفسير القرآن العظيم : لابن كثير - دار الشعب .
- ٢٨- جامع البيان - للطبري - مصطفى الباني الحلبي .
- ٢٩- الجامع لأحكام القرآن : للقرطبي - مكتبة الرياض الحديثة .
- ٣٠- رسالة في الكلام على قوله تعالى : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ : لابن رجب الحنبلي بتحقيقنا نشرته دار الصحابة للتراث بطنطا .
- ٣١- صحيح ابن حبان : ط. دار الكتب العلمية .
- ٣٢- تهذيب التهذيب : لابن حجر العسقلاني - ط. دار صادر بيروت .
- ٣٣- لسان الميزان : لابن حجر العسقلاني - مؤسسة الأعلمي بيروت .
- ٣٤- فتح الباري بشرح صحيح البخاري : لابن حجر العسقلاني - ط. الريان .
- ٣٥- البداية والنهاية : لابن كثير - ط. مكتبة المعارف بيروت .
- ٣٦- الذيل على طبقات الحنابلة : لابن رجب الحنبلي - دار المعرفة .
- ٣٧- الكامل في التاريخ : لابن الأثير - ط. دار صادر .
- ٣٨- شرح الشفا : للملا على القاري .

- ٣٩ - صفة الصفوة : لابن الجوزى - دار المعرفة .
٤٠ - المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .
٤١ - موسوعة أطراف الحديث لمحمد السعيد زغلول .
٤٢ - المصنف لابن أبى شيبة : تحقيق الأستاذ عبد الخالق الأفغانى .
٤٣ - المصنف لعبد الرزاق الصنعانى : المكتب الإسلامى .
٤٤ - فردوس الأخبار : للديلمى - دار الكتب العلمية .
٤٥ - الكامل فى الضعفاء : لابن عدى - ط. دار الفكر .
٤٦ - الجرح والتعديل : للرازى - دار الكتب العلمية بيروت لبنان .
٤٧ - كنز العمال : للبرهان فورى - ط. مؤسسة الرسالة .

فهرس الكتاب

الصفحة	الموضوع
٣	تقديم
٥	بين يدي الكتاب
٨	ترجمة المصنف
١٢	عملي في الكتاب
١٤	وصف المخطوطة وتوثيقها
١٥	صورة المخطوطة
١٧	مقدمة المصنف
١٩	بداية الإنسان ونهايته
٢٦	موقف السلف من الشهادة بالجنة
٣٠	هل يجوز الاعتماد على رؤية المنام ؟
٣١	السلف وخشيتهم لله
٣٢	آخر الخارجين من النار
٣٣	هوان الذنوب على الله
٣٤	الأعمال بالخواتيم
٣٥	عاقبة الميل إلى الدنيا
٣٦	عاقبة التهمة والجسد
٣٧	إياك والاعتزاز بالأعمال
٤٧	فهرس الكتاب